لشهيدة حياة البلبيسي : استشهدت وهي تضمد الجراح اثناء مجزرة دير ياسين

الشهيدة شادية أبو غزاله

المعتقلة عائشة عودة : السجن ٩٠ سنة فقط

السيدة زليخة اسحق الشهابي : تأسيس أول اتحاد نسائي عربي فلسطيني في القدس ١٩٢١

■ التغيير الحقيقي في وضع المرأة هو أن تساهم في تحرير المرأة ■ وتجد المرأة ذاتها في مشاركتها في نضال شعبها

والحد من تعدد الزوجات وحصرهن باربع ؛ غير ان تطور الفتوح الاسلامية وامتزاج العرب بغيرهم من الشعوب وتطور وسائل وعلاقات الانتاج والحروب؛ ومظاهر الابهة والثراء لدى الطبقة السائدة ؛ ادى الى الحط من مكانة المرأة فمر زمن طويل صارت فيه من ممتلكات السادة من الضيع والعبيد والحريم والجواري ؛ ولعل أطرف ما أوردته المؤلفة في هذا الباب رأي على لسان الفيلسوف الاسلامي « ابن رشد » يقول فيه : « يجب أن لا ننخدع بأن المرأة تبدو في الظاهر صالحة للحمل والحضانة فقط . فما ذلك الا لان حاله العبوديه التي انشأنا عليها نساءنا ؛ اتلفت مواهبها العظيمة وقضت على امكانياتها العقلية ؛ فحياة النساء تنقضي كحياة النبات ؛ فهن اعلة على أزواجهن ؛ وقد كان ذلك سببا في شقاء المدن وهلاكها » .. الى ان يحض على ضرورة أن تساهم المرأة في شؤون الدولة والمجتمع وان « تمكن من المشاركة في انتاج الثروة المادية والعقلية وحفظها » .

الاستعمار

وبعد أن وقع المجتمع العربي تحت السيطرة العثمانية ثم الاستعمار الغربي تكرست عوامل التخلف في المجتمع بما فيها واقع المرأة .. « لان أشكال النظم السياسية والاجتماعيه والاقتصادية لا تخدم تقدم المجتمع بقدر ما تخدم مصالح الاستعمار والقوى المستغلة المرتبطة به » ؛ وهكذا فان عوامل تخلف المرأة العربية كانت طوال تلك الفترة ترتبط بعوامل الانحطاط والتخلف في المجتمع العربي عموما؛ غير ان ما شهدته وتشهده بلادنا العربية من التقدم على مستويات التعليم والوعي السياسي ؛ وارتفاع أصوات تدعو الى وضع المرأة في مكانها الضروري (منها صوت سلامة موسى وقاسم أمين مثلا) جعل المرأة تبدأ في خطوات وئيدة في الدخول الى عملية التغير والتقدم ؛ ولكن « التغير الحقيقي في وضع المرأة والذي يصحح موقعها هو أن تعود قوة منتجة » وبشكل واسع يغير في البنى والانماط الانتاجية والقانونية ؛ ويدفع بعجلة التقدم الاجتماعي أشواطا أكثر ابداعا وحيوية .

المرأة الفلسطينية

بدأت المرأة الفلسطينية تلعب دورها في حياة شعبها الكفاحية منذ عام ١٩١٧ ؛ عندما صدر وعد « بلفور » الشهير ؛ « اذ اجتاحت فلسطين في تلك الفترة موجة عارمة من المظاهرات والاضرابات والانتفاضات الشعبية المسلحة » ؛ وخرجت الفلسطينيات بقيادة المتعلمات من المسلمات والمسيحيات في مظاهرات كبيرة في القدس ويافا وحيفا ؛ وفي عام ١٩٢١ أسست « اميليا سكاكيني » و « زليخة الشهابي » أول اتحاد فلسطيني نسائي ؛ كان ينظم المظاهرات ضد الانتداب البريطاني ويساهم في تقديم المؤن والخدمات الطبية ؛ بل بلغ الامر بالمرأة الفلسطينية حد الاسهام بالاعمال الحربية . وهكذا كان شأنها في ثورات ١٩٢٩ - ١٩٣٠ ؛ و ١٩٣٦ ؛ و ١٩٤٧ ؛ و ١٩٤٨ . وكانت في تلك الانتفاضات تشارك في المظاهرات ونقل المؤن واعمال التمريض وخياطة الملابس للثوار ؛ وقد شكلت لهذا الغرض جمعيات « كزهرة الافحوان » التي حازت كثيرات من اعضائها على أوسمة من الحكومة السورية تقديرا لبطولاتهن ؛ كذلك أنشأت المرأة الفلسطينية جمعية « التضامن النسائي » .

ومن الامثلة الرائعة على بطولة المرأة الفلسطينية استشهاد المعلمة « حياة البلبيسي » في مذبحة دير ياسين اثناء قيامها بتضميد جراح أحد المقاتلين كذلك « جميلة أحمد » و « ذيبة عطية » اللتان استشهدتا اثناء توزيعهما الذخيرة على المقاتلين .

وبعد هجرة الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ ؛ وجدت المرأة الفلسطينية نفسها أمام مسؤولية المشاركة في حفظ الاسرة « فدخلت ميدان العمل وعملت كعاملة وموظفة ومدرسة » ؛ كذلك كان من أدوارها الاساسية تنشئة ابنائها على حب الوطن والحنين الدائم له فساعدت على تشكيل وجدانهم القومي .

وتفرد المؤلفة بابا خاصا حول دور المرأة في الاحزاب والجمعيات والهيئات العربية ؛ التي وجد فيها الفلسطينيون في منافيهم مجالا لمواصلة نضالهم الوطني والقومي ؛ يشمل دور المرأة في الاحزاب والهيئات القومية كحزب البعث وحركة القوميين العرب والحزب السوري القومي الاجتماعي والاحزاب الشيوعية ؛ ويلاحظ ان هذه الاحزاب عرفت نساء فلسطينيات في صفوفها - رغم انها ، أي الاحزاب ، لم تول المرأة اهتماما خاصا - اذ كانت تضع النضال من أجل تعزيز مكانة المرأة ضمن النضال من أجل التقدم بعموم المجتمع.

■ حياة الانتفاضة للمجتمع ■ وتأكيد لذاتها فيه

أما في الارض المحتلة فان العدو يجد في النوادي ومحال التجمع ما يتهدد أمنه ؛ فهو يضيق على وجود المواطنين العرب في تلك النوادي والجمعيات وبذلك يكون حزب « راكاح » منفذا وحيدا أمام السكان العرب ؛ وللمرأة فيه دور محدود ؛ خاصة بعد اتساع المقاومة الفلسطينية المسلحة ومعرفة شعب فلسطين للطريق السليم الذي يسلكه للتحرر

فريق اسعاف ميداني مشترك ١٩٤٧ - ١٩٤٨

من كابوس الاحتلال ، وهو الكفاح المسلح ، الذي أصبحت له قياداته التي تلتف حولها الجماهير .

دراسة ميدانية

ولعل أهم ما يحويه هذا البحث الفريد في موضوعه ، هو دراسة ميدانية لتجربة الكوادر والعناصر النسائية في المقاومة الفلسطينية للفترة بين ١٩٦٧ - ١٩٧١ . اعتمدت فيه معدة الدراسة على ورقة بحث طبقت على ١٠٠ من العناصر النسائية التي مارست العمل مع التنظيمات المختلفة لفصائل المقاومة أو المؤسسات الاجتماعية للثورة الفلسطينية ، روعي فيها المستوى التعليمي والاجتماعي .. وكانت التنظيمات كل من « فتح - الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - جبهة التحرير العربية - الخ » .. واستقصت الدراسة عبر استمارة البحث الدوافع التي تقف وراء مشاركة المرأة في العمل الوطني ، ورؤيتها لهذا العمل ، وموقف العائلة والجماهير من مشاركتها ، وقد خلصت الدراسة الى ان الاغلبية الساحقة من النساء غير واعية لدورها وضرورته ، وكان الدافع الاول للمشاركة ينبع من الشعور الشخصي بالمسؤولية أكثر منه استجابة لدعوة من التنظيمات ، على الاقل في البداية ، أما الدافع الاخر فيتصل بالحياة النفسية للمرأة ، وهو انها تجد في مشاركتها منفذا لدخول الحياة الاجتماعية وتأكيد ذاتها .. غير ان الامر الايجابي حقا أن تخلص الدراسة الى ان المرأة لمست احتراما من جماهير الثورة الفلسطينية لدورها ، رغم ان هذا الدور لم يدخل بعد في البرامج السياسية والكفاحية لفصائل المقاومة الفلسطينية ويأخذ مكانه المطلوب في اهتماماتها لدى تعبئة طاقات الجماهير .

دراسة فريدة

ان هذه الدراسة الفريدة ، على ما ذكرته المؤلفة من العقبات التي وقفت في طريقها ، هي أول دراسة في هذا الموضوع الخطير ، والذي يهتم بجانب حيوي من حياتنا المتغيرة ، أقصد المرأة ، ولعله من الغريب كل الغرابة أن يتنصل « الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية » من أن يعبر هذا الجهد المتواضع والشجاع عن رأيه ، رغم انه يعتمد منهجا أقرب ما يكون الى منهج البحث العلمي الجاد ، ويحاول جاهدا أن يمس موضوعه مسا مباشرا وحسيا . ولا بد أن نذكر ان هذا البحث - الوثيقة ، خطوة ضرورية باتجاه المهم والخطير والحيوي في حياتنا ، وليس حجرا في الظلام شأن غيره من الدعوات اللفظية ، وان أي اسهام ومشاركة وتعاون مع السيدة « خديجة أبو علي » كان يمكنه - لو تم - ان يقدم لنا اضاءة مناسبة لهذا الجانب من حياتنا .